المنهج النبوي في مواساة الطائع

أ/ سمية حامد البار

باحثة ماجستير ، تخصص الكتاب والسنة، جامعة جدة

ملخص البحث

تحتاج النفس عند فعل الطاعات إلى مجاهدة ومصابرة، لأن لها إقبالًا وإدبارًا، وكما أن لها في إقبالها إشارات لابد من التنبُّه لها كالإخلاص والصدق والمتابعة...، فإن لها أيضًا عند فتورها أو ضعفها واجبات لابد من مراعاتها، لأنَّ وساوس الشيطان تحيط بها وتتربّص الخطأ من المؤمن لِتُقنِّطهُ وتحيد به عن الطريق، وقد راعى النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- هذه الطبيعة البشرية بتوجيهات ولفتات منه عديدة، منها أنه -صلّى الله عليه وسلّم- واسى من فاتته الطاعة أو شقّت عليه؛ لئلا تنهشه الأحزان غير المجدية، أو تفترسه خطرات النفس وهمزات الشياطين.

Research Summary

The need for self when doing acts of worship to Mujahid and Saberp, because they have a response and a decision, and that in their turn signals must be attentive to them, such as sincerity, honesty and follow-up ..., it also when the slow or weak duties must be observed, because the devil's licentious surrounds and lies wrong The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) took care of this human nature with many instructions and instructions, including that he (peace and blessings of Allaah be upon him) felt sorry for his loss of obedience or slandered him, lest he be overwhelmed by useless sorrows, Self and the demons of the demons.

مقدمة:.

تحتاج النفس عند فعل الطاعات إلى مجاهدة ومصابرة، لأن لها إقبالًا وإدبارًا، وكما أن لها في إقبالها إشارات لابد من التنبُّه لها كالإخلاص والصدق والمتابعة...، فإن لها أيضًا عند فتورها أو ضعفها واجبات لابد من مراعاتها، لأنَّ وساوس الشيطان تحيط بها وتتربّص الخطأ من المؤمن لِتُقنِّطهُ وتحيد به عن الطريق، وقد راعى النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- هذه الطبيعة البشرية بتوجيهات ولفتات منه عديدة، منها أنه -صلّى الله عليه وسلّم- واسى من فاتته الطاعة أو شقّت عليه؛ لئلا تنهشه الأحزان غير المجدية، أو تفترسه خطرات النفس وهمزات الشياطين.

وقد قدّم النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- المواساة للطائع في حالاته المختلفة، ومنها:

أوّلاً: مواساة الطَّائع إذا فاتته الطَّاعة.

فوات الطَّاعة مما يجلب الحسرة في النفس، ولم يتركنا النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- نواجه ذلك الشعور وحدنا، بل نجدُ في سيرته ومواقفه ما يمكن أن نستلهم منه كيف نتعامل مع أنفسنا ومن حولنا إذا فاتتنا عبادة، وكيف نحبِّب الطاعات إلى مَن نتولى أمرهم، فلا ننفِّرهم منها فتفوتهم.

وقد واسى النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- المؤمنين إذا فاتتهم طاعة بعدة أمور، منها:

لا مأنة م فاتته ا اعة لع ٍ بإع لله له

كما حصل لابن أم مكتوم – رضي الله عنه- ومن تخلّف عن الغزوة معه من الصادقين، فقد روى الطبري بسنده عن البراء –رضي الله عنه- قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] جاء ابن أم مكتوم وكان أعمى، فقال: يا رسول الله، كيف وأنا أعمى؟ فما برح حتى نزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[2].

ثانيا تبشي م فاتته ا اعة لع ب ج .

هنا مسألتا:

<u>من فاتته الطاعة وقد كانت يعمل بها:</u>

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٢) الطبري، <u>تفسير الطبري، مرجع سابق</u>، ٨٧/٩. قال المحقق: محمد أحمد شاكر: صحيح.

ومن ذلك ما رواه أبو داود بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم- غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَا مَرَّتَيْنِ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، فَشَغَلَهُ عَنْهُ مَرَضٌ، أَوْ سَفَرٌ، كُتِبَ لَهُ كَصَالِحِ مَا كَانَ يَعْمَلُ، وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ»(١).

ففي الحديث مواساة لكلِّ مَن فاته أيّ عملٍ صالح كان يداوم عليه، ثم توقَّف عنه لعذر المرض أو السفر، وفيه تشجيع للمداومة على الطاعات حتى يدوم أجرها إن تغيَّرت ظروف العبد.

كما واسى النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- العبد إذا سعى إلى الصلاة في جماعة ثم فاتته بأن الله قد كتب له كامل الأجر، فقد روى أبو داود بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا أَعْطَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا»(٢).

قال الطيبي: "لعله يعطى الثواب لوجهين، أحدهما: أن نية المؤمن خير من عمله، والآخر جبرًا لما حصل له من التحسُّر لفواتها"(٣).

من فاتته الطاعة ولم يكن قد عمل بها:

فمن ذلك أيضًا ما رواه البخاري بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا(٤)مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا(٥) إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ(٦)»(٧).

فهؤلاء الصحابة الصادقين –رضي الله عنهم- الذين فاتهم الجهاد فأثقلهم الحزن وأقلقهم القعود، واساهم النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- بأن بشَّر عنهم لما اقترب من المدينة أنَّ لهم أجرَ السَّير وإن لم يسيروه، وأجرَ الجهادِ وإن لم يشاركوا فيه، وذلك لأنَّ قلوبهم كانت متعلّقة بتلك العبادة وقد صدقوا الله

---

(١) سنن أبي داود، ح ٣٠٩١، كتاب الجنائز، باب إذا كان الرجل يعمل عملًا صالحًا فشغله عنه مرض أو سفر ١٨٣/٣. حسنه الألباني. يُنظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، ٢/١.

(٢) سنن أبي داود، ح ٥٦٤، كتاب الصلاة، باب فيمن خرج الصلاة فسبق بها، ١٥٤/١.

(٣) يُنظر: القاري، مرقاة المفاتيح، ٨٨١/٣.

(٤) فدَنَا: فاقترب.

(٥) قطعْتُمْ وَادِيًا: تخصيص لكون قطع الوادي أشق، وليدل على الاستيفاء. يُنظر: القاري، مرقاة المفاتيح٢٤٧١/٦.

(٦) حَبَسَهُمُ العُذْرُ: "العُذر" لغةً: مَا أدليت بِهِ من حجّة تذْهب بهَا إِلَى إِسْقَاط المَلامة. يُنظر: ابن سيده، المخصص، ٥٣/٤. قال ابن حجر في بيان معناه هنا: ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤٧/٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٤٢٣، كتاب المغازي، باب (بدون عنوان)، ٨/٦.

في رغبتهم، ولم يمنعهم إلا العذر القاهر ولو زال العذر لما تأخروا عن نُصرة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.
فبهذه الكلمات سُرِّي عنهم ما كانوا يهتمون لأجله، واستراحت قلوبهم من ثقله، لما عرفوا تفهم رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عذرهم وقبوله له.
قال العيني -رحمه الله- :"وفيه: أنَّ من حبسه العذر وغيره عن الجهاد وغيره من أعمال البر مع نية فيه فله أجر المجاهد والعامل"(١).
وكلتا الحالتين واساها النبيّ –صلى الله عليه وسلّم- بأن بشّرهم بكتابة الله لأجرهم.
وهذا عامٌّ في شريعة الإسلام، أنَّ من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها لعذرٍ فإنَّ أجرها يُكتب له، فقد روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»(٢).
وهذا كرمٌ عظيمٌ وفيضٌ غزيرٌ من الله ﷻ على الأمة المحمدية، وفيه مواساة لكل من لم تساعده الظروف، أو طرأ عليه ما يَحولُ بينه وبين عبادة يشتهي أن يتعبد لله بها(٣).

ثالثا: بيان أن الله تعالى لا يؤاخذ على ما لا يقدر عليها.

ومن ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- لفقراء المهاجرين لما اشتكوا إليه من قلقهم من أن يسبقهم الأغنياء في درجات الآخرة، فقد روى البخاري ومسلم -واللفظ له- عَنْ أبي هريرة -رضي الله عنه- -وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ- أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَقَالُوا: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ(٤) بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ... فقال -صلّى الله عليه وسلّم- «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ

---

(١) العيني، عمدة القاري، ١٣٠/١٤.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ١٣٠، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١١٨/١.
(٣) قال العيني -رحمه الله- :"وكذا جاء فيمن كان يعمل، وهو صحيح، وكذا من نام عن حزبه نومًا غالبًا كُتب له أجر حزبه، وكان نومه صدقة عليه، وكذا المسافر يكتب له ما كان يعمل في الإقامة، وهذا معنى قوله عز وجل: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون} (الإنشقاق:٢٥). أي: غير مقطوع بزمانة، أو كبر أو ضعف إذ الإنسان يبلغ بنيته أجر العامل إذا كان لا يستطيع العمل الذي ينويه". العيني، عمدة القاري، ١٣٠/١٤.
(٤) الدُّثور: الدُّثور جمع دثر: وهو المال الكثير. يُنظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣٦٨/١.

أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»(١)(٢).

وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- عن النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ(٣) أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»(٤).

لأن فقراء المهاجرين كانوا يظنون أن الصدقة محصورة في المال، فواساهم النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- بأن بيَّن لهم أبواب الصدقة الأخرى والتي قد تفضلها في الأجر(٥)، ومن أهمها الذِّكر بالتسبيح والتهليل والتكبير، فهذا العمل اليسير يمكنهم أن يستصحبوه في كلِّ وقتهم، ومع كل ظروفهم، وفي هذا مواساة عظيمة ودليل على سماحة الإسلام ويسره، عندما نجدُ أن أيسر العبادات -والذي لا يتطلب بذل مال ولا جهد وليس محصورًا بزمان أو مكان أو حال- هو عبادة الذِّكر!(٦).

ة ه هنا فائ هي: أن الشخص المُثقل عندما يأتي ليشكو أمرًا ويبحث عن مخرج، فعلى من يواسيه أن يدله على مخرجٍ سهلٍ، وطريقٍ واضح يسير، لا أن يصعِّب عليه بلوغ هدفه، فالنَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- راعى حالتهم النفسية وانكسارهم الشعوري فلم يوجههم إلى الصيام والقيام رغم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٨٤٣، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ١/ ١٦٨. [مختصرًا].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٥٩٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، ٤١٦/١.

(٣) بُضْع: البُضع يطلق على عقد النكاح والجماع معًا، وعلى الفرج. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب ، ١٤/٨. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١٣٣/١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٥٩٥، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٧/٢.

(٥) قال الطوفي: "إن أجر التسبيح والتكبير والتحميد كأجر الصلاة والصيام والصدقة في الجنس. لأن الجميع صادر عن رضى الله عزَّ وجلَّ مكافأةً على طاعته عزَّ وجلَّ، أما في القدر والصفة فيتفاوتان بتفاوت الأعمال في مقاديرها وصفاتها، فليس ثواب ركعتين، أو صوم يوم، كثواب أربع ركعات، وصوم يومين، وليس ثواب عتق رقبة نفيسة، كثواب عتق رقبة دونها". يُنظر: الطوفي، سليمان نجم الدين (٧١٦ هـ)، التعيين في شرح الأربعين، تحقيق: أحمد حَاج عثمان، ط:١، (بيروت: مؤسسة الريان، مكّة: المكتبة المكية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) ١٩٦/١.

(٦) ويظهر في الحديث عناية الصحابة -رضي الله عنهم- بالعمل الصالح وتنافسهم فيه، قال ابن رجب: "وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة -رضي الله عنهم- لشدّة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوّة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير ممَّا يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد، لعدم القدرة على آلته" ابن رجب، جامع العلوم والحكم، مرجع سابق، ٥٧/٢.

أنها أعمال يستطيع الفقراء أداءها ولها أجور عظيمة، لكنه -صلّى الله عليه وسلّم- بشخصيته العظيمة الحانية أخذ بنفوسهم المُنهكة إلى أقرب طريق ممهَّد حتى يستطيبوا السير ولا يستثقلوه وحتى يجدوا حلاوة المواساة.

رابعًا: بذل الوسع في تسخير الإمكانات المُعينة على الطَّاعة لراغبها.

كان النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- يبذل جهده في معاونة الراغبين في الطاعة ممن لم يجدوا وسائلها، ومن ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للفقراء من الصحابة –رضي الله عنهم- الذين لم يجدوا عُدَّة تحملهم إلى الجهاد في غزوة تبوك، فجاءوا إلى النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- يبكون، وكانوا سبعة.

فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عَنْ أبي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- أَسْأَلُهُ الحُمْلاَنَ(١) لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ(٢)، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ «وَاللهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ(٣)، وَوَافَقْتُهُ(٤) وَهُوَ غَضْبَانُ وَلاَ أَشْعُرُ» وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً(٥)، إِذْ سَمِعْتُ بِلاَلًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: "خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ(٦)، وَهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ -لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ(١) ابْتَاعَهُنَّ(٢) حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ-، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ»(٣)(٤).

---

(١) الحُمْلاَنَ: ما يُحمل عليه من الدواب، ويطلق في الهبة خاصَّة كذا، وذلك أنهم أرسلوا يطلبون من النَّبيّ ﷺ شيئًا يركبون عليه. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٤٢/٢٨. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤٤٣/١.

(٢) جَيْشِ العُسْرَةِ: هو(جيش غزوة تبوك، سمي بها لأنه ندب الناس إلى الغزو في شدة القيظ، وكان وقت إيناع الثمرة وطيب الظلال، فعسر ذلك عليهم وشق. والعسر: ضد اليسر، وهو الضيق والشدة والصعوبة). يُنظر: ابن منظور، لسان العرب ، ٥٦٥/٤. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢٣٥/٣.

(٣) قال القسطلاني: "الذي يظهر أن النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- حلف لا يحملهم فلما حملهم راجعوه في يمينه فقال: ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم، فبين أن يمينه إنما انعقدت فيما يملك فلو حملهم على ما يملك لحنث وكفر، ولكنه حملهم على ما لا يملك ملكًا خاصًّا وهو مال الله وبهذا لا يكون قد حنث في يمينه". القسطلاني، إرشاد الساري، مرجع سابق، ٤٧٥/١٠.

(٤) وَوَافَقْتُهُ: صادفته. ابن منظور، لسان العرب ، ٣٨٢/١٠، العيني، عمدة القاري، ٤٦/١٨.

(٥) سُوَيْعَةً: تصغير ساعة وهي الجزء من أجزاء الليل والنهار. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٦٩/٨.

(٦) القرينَيْن: أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤/ ٥٣ . ابن منظور، لسان العرب، ٣٣٧/١٣.

ففي هذا الحديث تظهر المواساة النفسية والمادية من النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- لهؤلاء المؤمنين الذي فاضت عيونهم من الدمع كما أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾[٥]

خامسا: تعيين من فاتته الغزوة يجزيها لأجل الغزوة خلفه فيها.

ومن ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- لصاحبه وحبيبه وابن عمه عليّ ابن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي قد خلفه في المدينة لينوب عنه فيها، فلم يشارك في تلك الغزوة، فقد روى البخاري و مسلم بسنديهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: خَلَّفَ(٦) رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةٍ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى(٧)؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٨)(٩)(١٠).

---

(١) أَبْعِرَةٍ: جمع بعير. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧١/٤.

(٢) ابْتَاعَهُنَّ: اشتراهنّ، والابتياع الاشتراء. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح،٤٣/١.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٤١٥ ، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، ٢/٦.

(٤)أخرجه مسلم في صحيحه، ح ١٦٤٩، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها، أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، ١٢٦٩/٣.

(٥) سورة التوبة، آية:٩٢.

(٦) خَلَّفَ: يعني تركه في المدينة يخلفه. يُنظر: العيني، عمدة القاري، ٤٦/١٨.

(٧) بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى: أي نازلًا منِّي منزلة هارون من موسى، والباء زائدة. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري،٧٤/٧.

(٨) وكأن النَّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- لما شبَّه عليًا -رضي الله عنه- في تخليفه إياه بهارون حين خلفه موسى، خشي أن يتأوّل متأوّلٌ فيدَّعي النبوةَ لعلي رضي الله عنه، فقال: "غير أنه لا نبي بعدي". قال النووي: "لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولا تعارض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده. لأن النَّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبَّه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور". النووي، شرح النووي على مسلم، ١٧٤/١٥.وقال العيني -رحمه الله- :"معناه أن تكون خليفة عني في سفري هذا بمنزلة استخلاف موسى أخاه هارون عليه السلام، على بني إسرائيل حين توجه إلى الطور. قوله: (إلا)، وجه هذا الاستثناء الدلالة على أن الخلافة ليست في النبوة، لأنه لا نبي بعده". العيني، عمدة القاري،٤٦/١٨.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٤١٦، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ٣/٦.

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٤٠٤، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ١٨٧٠/٤.

فهذا التشبيه وهذه المكانة الخاصة، فيها ما يجبر الخاطر ويطيّب النفس لشخصٍ أحب الرَّسول -صلّى الله عليه وسلّم- وحرص كل الحرص على القرب منه بل وفدائه بنفسه، فلا شكّ أن عين عليّ -رضي الله عنه- قدّ قرت بهذا الوصف والمثل.

وقد كان من أثر هذه المواساة على عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن كبراء الصحابة بعد وفاة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- كانوا يرجعون إليه في رأيه وعلمه، حتى أن عمر -رضي الله عنه- كان يتعوَّذ من معضلة ليس لها أبو حسن(١).

سا سا #فا ع م فاتته ل اعة لع بإع ائه م يا

ومثال ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للمهاجرين الذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة ومكثوا فيها طويلًا ولم يرجعوا إلا حين افتتحت خيبر، ففاتتهم الهجرة إلى المدينة، وكانت منهم الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ(٢) النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ... حتى قال: فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الحَبَشِيَّةُ هَذِهِ البَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- مِنْكُمْ.

فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - البُعَدَاءِ البُغَضَاءِ بِالحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَايْمُ اللهِ لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَأَسْأَلُهُ، وَاللهِ لاَ أَكْذِبُ وَلاَ أَزِيغُ، وَلاَ أَزِيدُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا؟. قَالَ: «فَمَا قُلْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ -أَهْلَ السَّفِينَةِ- هِجْرَتَانِ»(٣) (٤).

---

(١) يُنظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١٧٦/١.

(٢) مَخْرَجُ: خروج النَّبيّ ﷺ إلى المدينة مهاجرًا، ويستبعد أن يكون المعنى بعثته ﷺ .يُنظر: ابن حجر، فتح الباري،١٨٩/٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٢٣٠ ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٧/٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٥٠٣، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم، ١٩٤٦/٤.[بمثله].

قالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا(١)، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم-.

فعبارة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- «وَلَكُمْ أَنْتُمْ -أَهْلَ السَّفِينَةِ- هِجْرَتَانِ» فيها مواساة لطيفة لهم تظهر في:

(ولكم) لا لغيركم.

(أنتم) استخدامه للضمير فيه تخصيص لهم واهتمام بهم.

(أهل السَّفينة) تخصيص آخر بأن خاطبهم بلقبهم المميِّز، كأنه يخبرهم أنه يدرك ويعرف مشقة السفينة وركوب البحر وما لاقوه في رحلتهم ذهابًا إلى الحبشة وعودةً منها، وكأن السفينة علامة فارقة تميِّزهم.

(هجرتان) ثم بأن أخبرهم بمزيتهم عن غيرهم من الصحابة بأن لهم؛ الأولى هجرتهم من مكة إلى الحبشة، والثانية هجرتهم من الحبشة إلى المدينة، وأما الذين لم يهاجروا إلى الحبشة فليس لهم إلا هجرة واحد كانت من مكة إلى المدينة.

فبهذه الجملة رطّب قلوبهم التي أضنتها الغربة، وعادت عطشى إليه وإلى صحبته ونصرته، وطمّأن نفوسهم الوجِلة القلقة من أن يكون أحد غيرهم قد سبقهم إلى المكانة العالية وتأخروا همّ.

وظهر أثر هذه المواساة النبوية في فرحهم واغتباطهم بما قاله النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- عنهم وكيف كانوا يأتون أفواجًا إلى أسماء -رضي الله عنها- ليسمعوا بأنفسهم ما سمعته من فيّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عنهم.

فيتضح بـ ل لنبي - صلى لله عليه سلـ سى م فاتته ل اعة بأم ، هي:

طمأنة مَن فاتته الطَّاعة لعذر بإعذار الله تعالى له.

تبشير مَن فاتته الطَّاعة لعذر بكتابة الله لأجره.

إعطاء بدائل للأجر لمَن لم يقدر على الطَّاعة.

بذل الوسع في تسخير الإمكانات المعينة على الطَّاعة.

تطييب نفس مَن فاتته طاعة يرجوها لأجل طاعة أخرى مأمور بها.

الدَّفاع عن مَن فاتته الطَّاعة لعذر بإعطائه مزايا.

ثانيا م سا ل لئع شة عليه ل اعة

---

(١) أَرْسَالًا: أفواجًا وفرقًا متقطعة بعضهم يتلو بعضًا. يُنظر: ابن الجوزي، كشف المشكل ٣٩٣/١. ابن منظور، لسان العرب، ٢٨١/١١. القسطلاني، إرشاد الساري، ٣٧٢/٦.

النفس البشرية قد تستثقل الطَّاعة وتتردَّد في القيام بها، ولذلك اهتم النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- بأن يواسي الطَّائعين في صبرهم على أداء الطاعة، ومن ذلك:

لا لبشا لم يج مشقة ا اعة له ج يء.

قد تحتاج بعض الطاعات إلى مهارة ليستطيع المؤمن أداءها بالشكل الأمثل، كقراءة القرآن فإنها تتطلب مهارة التعلم واكتساب القراءة، وقد تتطلب جهدًا خاصَّةً من غير العرب أو كبار السنّ أو صغاره، فحتى لا تثقل قراءة القرآن عليهم واساهم النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بتبشيرهم بمضاعفة أجرهم جزاء مشقتهم، فقد روى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ(١) الكِرَامِ البَرَرَةِ(٢)، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ(٣)، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»(٤).

نحـ عن مسلـ ء عائِشة، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «الْمَاهِرُ(٥) بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ(٦) فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»(٧).

فعندما يستشعر قارئ القرآن المبتدئ هذين الأجرين أثناء قراءته فإن ذلك يواسيه ويحفزه للمواصلة.

ثانيا لغض ـه ا يش بالنا في ا اعة.

ومن ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للصحابي الذي اشتكى إليه من عدم استطاعته إدراك الصلاة لطول قراءة الإمام، ففي الحديث الذي رواه البخاري بسنده عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قالَ: قالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ(١) مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا(٢) فُلاَنٌ(٣)، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ

---

(١) السَّفَرَةِ: الملائكة. يُنظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣٧٤/٤.

(٢) البَرَرَةِ: جمع بار، يبرّ خالقه أي يطيعه، أي المطيعين المطهرين من الذنوب. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥٤/٤. ابن حجر، فتح الباري، ٥١٨/١٣.

(٣) يَتَعَاهَدُهُ: من العهد وهو الاحتفاظ بالشيء وإحداث الوصية به.و يتعاهد القرآن أي: يضبطه ويتفقده. ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٧٦/٤، العيني، عمدة القاري، ٢٨٠/١٩.

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٩٣٧ ، كتاب تفسير القرآن، باب {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا} [النبأ: ١٨]: زمرًا، ١٦٦/٦.

(٥) الْمَاهِرُ: الحاذق بالقراءة، والمراد به هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ. يُنظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣٧٤/٤. . ابن حجر، فتح الباري، ٥١٨/١٣.

(٦) يَتَتَعْتَعُ: يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١٩٠/١.

(٧)أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٧٩٨ ، كتاب صلاة المنافقين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، ٥٤٩/١.

مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ»(٤).

فنجد أنَّ النَّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قدّ تفاعل مع إحساس الصحابي وقلقِهِ من أن تصبح الصلاة ثقيلة عليه فلا يستطيع إدراكها، وكان هذا التفاعل بأن وقف النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- في صفّه مستشعرًا فيه ضعف الإنسان وطبيعته، فلم يأمره -مثلًا- بالتصبُّر على الصلاة ومجاهدة النفس، بل دَعَم فيه نبتة الإيمان الغضة، وسعى لحمايتها فظهر ذلك في غضبه -صلّى الله عليه وسلّم- حين قام معاتبًا أصحابه.

وقد أورد البخاري الحديث في (كتاب العلم) وترجم له بباب : "الغضب في العلم"، فهذا الغضب كان لأجل المتعلمين؛ رحمةً بهم وشفقةً على ضعفهم حتى لا تشقّ عليهم العبادة.

فجاءت مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للرجل بأن وجد منه ردة الفعل التي نبّهت الصحابة إلى ما كان يكنه الصحابي من شعور، وما يمكن أن يترتب على هذا الشعور من نفرة عن العبادة والفريضة.

---

(١) لا أَكَادُ أدْرِكُ الصَّلَاةَ: في معناه عدة أقوال:

- الأول: أن اللفظ (لأكاد أتْرُك) وليس (لا أكاد أدْرك) وإنما حصل فيه تصحيف، وأيد هذا القاضي عياض بقوله: (ظاهره مشكل لأن التطويل يقتضي الإدراك لا عدمه ولعله "لأكاد أترك الصلاة" فزيدت الألف بعد لا وفصلت التاء من الراء فجعلت دالاً) قال القسطلاني: "وعورض بعدم مساعدة الرواية لما ادعاه".
- الثاني: معناه (أنه كان به ضعف فكان إذا طوّل به الإمام في القيام لا يبلغ الركوع إلا وقد ازداد ضعفه فلا يكاد يتم معه الصلاة.) وعورض بأنه هناك رواية عند البخاري (لأتأخر عن الصلاة).
- الثالث: معناه (أني لا أقرب من الصلاة في الجماعة بل أتأخر عنها أحيانًا من أجل التطويل، فعدم مقاربته لإدراك الصلاة مع الإمام ناشئ عن تأخره عن حضورها ومسبَّب عنه، فعبر عن السبب بالمسبب وعلله بتطويل الإمام، وذلك لأنه إذا اعتيد التطويل منه تقاعد المأموم عن المبادرة ركونًا إلى حصول الإدراك بسبب التطويل فيتأخر لذلك).
- الرابع: معناه (أن الذي ألفه من تطويله اقتضى له أن يتشاغل عن المجيء في أول الوقت وثوقًا بتطويله، بخلاف ما إذا لم يكن يطول فإنه كان يحتاج إلى المبادرة إليه أول الوقت وكأنه يعتمد على تطويله فيتشاغل ببعض شغله، ثم يتوجه فيصادف أنه تارة يدركه وتارة لا يدركه، فلذلك قال لا أكاد أدرك مما يطول بنا أي بسبب تطويله) يُنظر: ابن حجر، مرجع سابق، ١٩٨/٢. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح أخرجه البخاري في صحيحه، ١٨٩/١.

(٢) يُطَوِّلُ بنَا: أي في القراءة. يُنظر: ابن حجر، ١٩٨/٢.

(٣) فلان: هو معاذ ابن جبل ﷺ . يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح أخرجه البخاري في صحيحه، ١٨٩/١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٩٠، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ٣٠/١.

ويظهر في الحديث لطف النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- وشفقته في عتابه، فهو لم يصرّح ولم يوجه الكلام مباشرة لمعاذ رضي الله عنه -وهو الذي أطال القراءة كما أشار شراح الأحاديث-، ولكنّه -صلّى الله عليه وسلّم- استخدم أسلوب التعميم في الخطاب لئلا يحرجه، وكانت هذه عادته حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحقه حتى لا يحصل له الخجل(١)(٢).

ثالثًا: تطييب نفس من شقَّت عليه الطَّاعة لعوائق تمنعه بتلبية طلبه.

ويدلّ على ذلك مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للصحابي عتبان -رضي الله عنه- الذي اهتّم بالصلاة في جماعة لكنها كانت تشق عليه لصعوبة ظروفه، فطلب من النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يخصَّه بالزيارة ويصلي في موضع في بيته ليكون من بعد ذلك مصلى والنَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- لبّى طلبه تطييبًا لنفسه ومواساةً له، ففي الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قال: كُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي(٣) بِبَنِي سَالِمٍ وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي(٤)، وَإِنَّ الوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي مِنْ بَيْتِي مَكَانًا، أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «سَأَفْعَلُ» فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟(٥)» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ

---

(١) يُنظر: العيني، عمدة القاري، ١٠٦/٢. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح أخرجه البخاري في صحيحه، ١٨٩/١.

(٢) يُنظر: الدربي، نادية عوض، الهدى النبوي في التعامل مع المذنب، رسالة ماجستير (غير منشور)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (جدّة ١٤٣٨هـ).

(٣) أُصَلِّي لِقَوْمِي: أي لأجلهم والمراد أنه كان يؤمّهم. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٠/١.

(٤) أَنْكَرْتُ بَصَرِي: هذا اللفظ يطلق على مَن في بصره سوء وإن كان يبصر بصرًا ما، وعلى مَن صار أعمى لا يبصر شيئًا. انتهى والأولى أن يُقال أطلق عليه عمى لقربه منه ومشاركته له في فوات بعض ما كان يعهده في حال الصحة. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٠/١.

(٥) قال العيني -رحمه الله- :"يتضمن أمرين: أحدهما: قصدًا، وهو تعيين المكان من صاحب المنزل. والآخر: ضمنًا، وهو الاستئذان بالإمامة". العيني، عمدة القاري، ٢١٣/٥.

أنْ أُصَلِّيَ فِيهِ، فَقامَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فَكَبَّرَ، وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ»(١) (٢).
ففي الحديث مواساة لهذا الصحابي تجلّت في إجابة الفاضل (الرَّسول -صلّى الله عليه وسلّم-) دعوة المفضول (عتبان رضي الله عنه) ولا شكّ أنّ نفسه طابت بها.
ويمكن تلخيص مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- لمَن شقَّت عليه الطَّاعة في:
البشارة لمَن يجد مشقَّة الطَّاعة أنَّ له أجرين.
الغضب من الَّذي يشقّ بالنَّاس في أداء الطَّاعة.
تطييب نفس من شقَّت عليه الطَّاعة لعوائق تمنعه بتلبية طلبه.

ثالثا: مواساة العاصي التائب.

المعصية قد تقنِّط الإنسان، لذلك كان مِن أهمّ مواضع تقديم المواساة تقديمها للعاصي التائب، حفاظًا على إيمانه وحمايةً له من الانجراف، وقد حرص النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- على مواساة وإعانة المذنبين التائبين وإرشادهم إلى المخرج الشرعي لذنبهم بمواساة، ومن ذلك:
أوَّلاً: التَّبشير بفرح الله بالتَّائب.
يكفي العاصي إذا أذنب فتاب أن يعلم أن الله يحبُّ توبته ويفرح بها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وقد بشر النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- التائب بفرح الله بتوبته، فقد روى مسلم بسنده عَنْ أبي هريرة -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا»(٣) قال العلماء: "فرح الله تعالى هو رضاه"(٤).
ففي الحديث بشارة بقبول الله توبة عبده التائب، وأنه يُقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ١١٨٥، كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة،٥٩/٢.
(٢) من فوائد العيني في الحديث: إعطاء النفس حقها ولا يشق عليها في كل الأوقات، إمامة الضعيف والتخلف عن المسجد في الطين والظلمة، ذكر المرء ما فيه من العلل معتذرًا ولا يكون شكوى فيه، إجابة الشارع من سأله، سير الإمام مع التابع، يُنظر: العيني، عمدة القاري،٢٤٩/٧.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٦٧٥،كتاب التوبة، باب في الحضّ على التوبة والفرح بها، ٢١٠٢/٤.
(٤) النووي، شرح النووي على مسلم،٦٠/١٧
(٥) يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٠٦/١١.

ثانيا لتبشير بالمغفرة للتائب.

كما بشّر النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- التائب بمغفرة ذنبه، روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هريرة - رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١) (٢).

ثالثا لتبشير بالجنة للتائب.

كذلك بشَّر النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- بعض التائبين بالجنة، فقد روى البخاري بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم-، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: "اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ"(٣).

ونلمح في تنكيس ثابت -رضي الله عنه- رأسه حجم الحزن الذي أصابه حتى ما عادت رأسه تتحمل ذلك الهمّ، والنَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- صاحب القلب الكبير لن يمر عليه غيابُ ثابتٍ دون أن يلتفت له، بل سألَ عنه واهتمّ به وطمأنه وشجعه بقوله: "إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ".

فهذه الجملة على قصرها إلا أنها بشَّرت ثابتًا -رضي الله عنه- بأعظم بشرى يمكن أن تُزف إلى إنسان، وفي ذلك أبلغ المواساة بعد اقتراف المعصية.

ومما يستفاد من الحديث سعة صدر النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم، فرغم أنّ المعصية التي ارتكبها ثابت -رضي الله عنه- كانت في حقّ النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، إلا أنه لم يستغل الموقف لصالحه أو للتأديب والعتاب بل استغله للمواساة الحنونة، وهذا ممَّا عُرف عن النَّبيِّ الرَّحيم محمَّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٧٤٩، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، ٢١٠٦/٤.

(٢) قال الطيبي: "ليس في الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله تعالى فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب. بل بيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة" القاري، مرقاة المفاتيح، ١٦١٥/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٣٦١٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٢٠١/٤.

بعا لحفا بالتائ .

ومن ذلك ما جاء في قصة كعب بن مالك -رضي الله عنه- لما تخلَّف عن غزوة تبوك، ثمّ لمّا عاد النَّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- تبسَّم لكعبٍ تبسُّمَ المغضب، فاعترف له كعب -رضي الله عنه- بسبب تأخره وتخلفه وأنه لا عذر له، والحديث أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال فيه بعدما بُشر بتوبة الله عليه ودخل على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ(١)»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ»(٢)(٣).

فهذه البشارة والحفاوة النبوية بالتائب كعب -رضي الله عنه- كان لها أعظم الأثر في مواساته بعدما قضى خمسين يومًا من الهمّ والحزن.

م لم سا لتي تلقاها كع يضا

موقف طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه- معه، إذ قال كعب: «فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ(٤)».

فندرك من ذلك الموقف وتلك العبارة أنّ الناس لا ينسون من يؤازرهم في حالة شدة حزنهم أو شدة فرحهم، وأن علينا أن نعتني بمن حولنا في تلك المواقف.

خامسا لالة لتائ لى لأعمال لصالحة لتي تكف معصيته.

ومن ذلك ما رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ -رضي الله عنه- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ(٥) امْرَأَةً فِي

---

(١) تشكل هنا مسألة وهي: أليس يوم الإسلام هو خير يوم يمر على الإنسان؟ وأجاب ابن حجر: (بأن يوم إسلامه مستثنًى تقديرًا وإن لم ينطق به لعدم خفائه، والأحسن في الجواب: أن يوم توبته مكمّل ليوم إسلامه فيوم إسلامه بداية سعادته، ويوم توبته مكمل لها فهو خير جميع أيامه، وإن كان يوم إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها) يُنظر: ابن حجر، فتح الباري،١٢٢/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٤٤١٨، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا} [التوبة: ١١٨]، ٣/٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٧٦٩، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢١٢٠/٤.

(٤) وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ: أي هذه الخصلة وهي بشارته إياي بالتوبة، أي: لا أزال أذكر إحسانه إلي بذلك وكنت رهين مسرته. القسطلاني، إرشاد الساري،٤٥٧/٦.

(٥)عَالَجْتُ: من المعالجة أعالجه أي (أمارسه وأكاري عليه). ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٢٨٦/٣ ، قال النووي: معنى عالجها أي تناولها واستمتع بها، النووي، شرح النووي على مسلم، ٨٠/١٧.

أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا(١)، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ. قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم- شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم- رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾(٢) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً»(٣).

ففيه مواساة وتخفيف عن ثقل الذنب عندما يذكّر النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- العبد أن باب التوبة مفتوح له، وأن الفرصة أمامه لغسل ذنوبه بماء الطاعات.

سا سا يجا كفا تناس لتائ .

من المواقف الدالّة على ذلك ما كان من النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- في التعامل مع الصحابيّ الذي أصاب امرأته في نهار رمضان، فقد روى أبو داود بسنده عن ابْنُ الْعَلَاءِ الْبَيَاضِيُّ قَالَ: كُنْتُ امْرَأً أُصِيبُ مِنَ النِّسَاءِ مَا لَا يُصِيبُ غَيْرِي، فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ خِفْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنِ امْرَأَتِي شَيْئًا يُتَابَعُ بِي حَتَّى أُصْبِحَ، فَظَاهَرْتُ مِنْهَا... فَقَالَ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «حَرِّرْ رَقَبَةً»، قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمْلِكُ رَقَبَةً غَيْرَهَا، وَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي، قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: وَهَلْ أَصَبْتُ الَّذِي أَصَبْتُ إِلَّا مِنَ الصِّيَامِ، قَالَ: «فَأَطْعِمْ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ بَيْنَ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا وَحْشَيْنِ مَا لَنَا طَعَامٌ، قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ وَكُلْ أَنْتَ وَعِيَالُكَ بَقِيَّتَهَا»، فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي، فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ، وَسُوءَ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ النَّبِيّ -صلّى الله عليه وسلّم- السَّعَةَ، وَحُسْنَ الرَّأْيِ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَوْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ»(٤).

فنجد أنَّ النَّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد كان رحيمًا شفيقًا بأبي العلاء، لم تمنعه معصية الرجل من أن يخفّف عنه الكفارة، وأن يوجد له ما يناسب ظروفه من الكفّارات مما لا يكون شاقًا عليه، بل وَسِعه واحتواه بعلمه وحنوّه ورحمته وحُقّ فيه قول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ

---

(١) دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا: (استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع). النووي، شرح النووي على مسلم،١٧/٨٠.

(٢) سورة هود، آية ١١٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٧٦٣، كتاب التوبة ، باب قوله تعالى: {إن الحسنات يذهبن السيئات} [هود: ١١٤] ٤/ ٢١١٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، ح ٢٢١٣، كتاب الطلاق، باب في الظهار، ٢/٢٦٥. حسنه الألباني. يُنظر: الألباني، إرواء الغليل ، ٧/١٧٧.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾[1].

فيمكن إجمال مواساة النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- للعاصي التَّائب بعدَّة أساليب، هي:

- **التَّبشير بفرح الله بالتَّائب.**
- **التَّبشير بالمغفرة للتَّائب.**
- **التَّبشير بالجنَّة للتَّائب.**
- **الحفاوة بالتَّائب.**
- **دلالة التَّائب إلى الأعمال الصَّالحة الَّتي تكفِّر معصيته.**
- **إيجاد كفَّارات تناسب ظروف التَّائب.**

وبهذا يتبيَّن لنا منهج النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- في أنَّه اهتم بالعاصي التائب وجذبه إلى بَرّ الأمان، فصلَّى الله على هذا النَّبيِّ العظيم الرَّحيم وسلَّم تسليمًا كثيرًا[2].

يمكن إجمال مواساة النبي صلى الله عليه وسلم للنائم بأنها كانت:

- **مواساة الطائع إذا فاتته الطاعة.**
- **مواساة الطائع إذا شقّت عليه الطاعة.**
- **مواساة العاصي التائب.**

([1]) سورة التوبة، آية ١٢٨.

([2]) للاستزادة يُنظر: الدربي، نادية عوض، الهدي النبوي في التعامل مع المذنب، رسالة ماجستير (غير منشور)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (جدّة ١٤٣٨هـ).